قصص إسلامية للأطفال

المفاجأة

تأليف
محمد منير الجنباز

مكتبة
التوبة

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

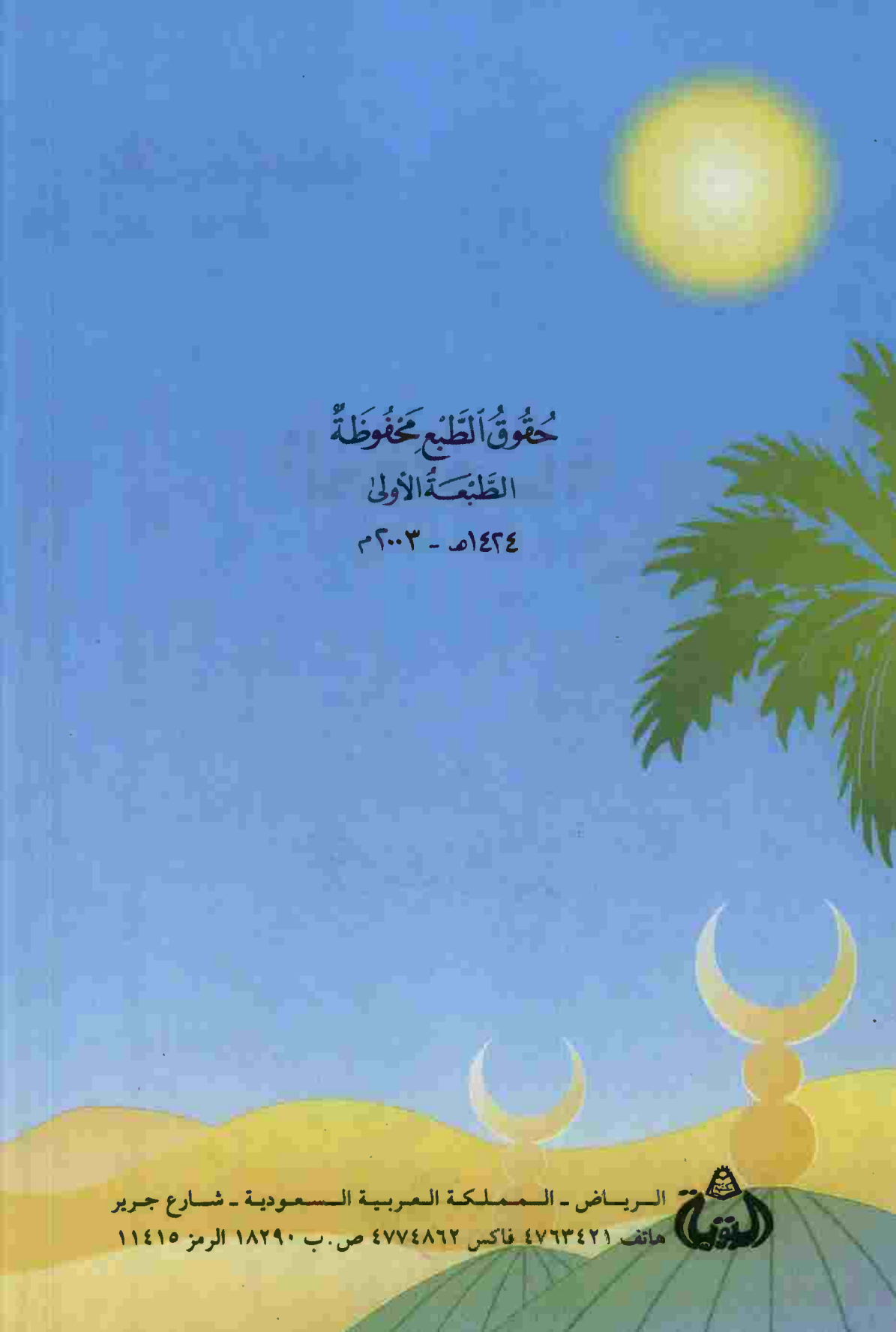

الرياض - المملكة العربية السعودية - شارع جرير

هاتف ٤٧٦٣٤٢١ فاكس ٤٧٧٤٨٦٢ ص.ب ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥

نَشْأَةُ الطِّفْلِ

إبْرَاهيم

إبْرَاهِيمُ وَلَدٌ ذَكِيٌّ وَنَشِيطٌ، لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ فُرْصَةً لِلتَّعَلُّمِ مُنْذُ الصِّغَرِ، لأَنَّ وَالِدَهُ قَدْ تُوُفِّي وَعُمُرُ إبْرَاهِيمَ ثَلاَثُ سِنِيْن، لِذَلِكَ عَاشَ فَقِيْراً تَرْعَاهُ أُمُّهُ، وَكَانَتْ تَعْمَلُ في غَزْلِ الصُّوْفِ، وَتَبِيْعُهُ في السُّوقِ لِتَكْسِبَ بَعْضَ الدَّرَاهِمِ التي تَشْتَرِي بِهَا طَعَاماً .

وَغِذَاءً لِإِبْرَاهِيمَ، وَكَانَتْ أُمُّهُ المِسْكِينَةُ لاَ تَعْرِفُ قِيمَةَ العِلْمِ، لأَنَّها غَيْرُ مُتَعَلِّمَةٍ، كُلُّ مَا يَهُمُّهَا أَنْ تَغْزِلَ الصُّوْفَ وَتَكْسِبَ مِنْهُ ثَمَنَ طَعَامِهَا وَكِسَائِهَا، لَهَا وَلِوَلَدِهَا إِبْرَاهِيْم، وَكَانَتْ تَرَى الأَوْلاَدَ مِنْ جِيْرَانِهَا يَذْهَبُونَ إِلى الكَتَاتِيْبِ لِيَتَعَلَّمُوا القِرَاءَة وَالكِتَابَةَ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تُفَكِّرْ في تَعْلِيْمِ وَلَدِهَا إِبْرَاهِيْمَ وَإِرْسَالِهِ إِلى الكَتَاتِيبِ لِيَتَعَلَّمَ.

وَمَرَّتِ الأَيَّامُ، وَكَبِرَ إِبْرَاهِيْمُ، وَأَصْبَحَ ابْنَ سِتِّ سِنِيْنَ، وَازْدَادَتْ نَفَقَاتُ البَيْتِ، وازْدَادَ

مَصْرُوْفُ إِبْرَاهِيْمَ، فَهُوَ بِحَاجَةٍ إِلى الثِّيَابِ وَالحِذَاءِ وَالطَّعَامِ، لِذَلِكَ قَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: يَا إِبْرَاهِيْمُ مَا رَأْيُكَ في العَمَلِ لِكَيْ تَكْسِبَ المَالَ؟.

لَمْ يُعَارِضْ إِبْرَاهِيْمُ أُمَّهُ لأَنَّهُ كَانَ يُطِيْعُهَا كَثِيْراً، فَقَالَ لَهَا: كَمَا تُرِيْدِيْنَ يَا أُمَّاهُ، فَأَخَذَتْهُ إِلى أَحَدِ التُّجارِ وَطَلَبَتْ مِنْهُ أَن يَقْبَلَ إِبْرَاهِيْمَ أَجِيْراً عِنْدَهُ، فَقَبِلَ التَّاجِرُ طَلَبَ أُمِّ إِبْرَاهِيْمَ عَلَى شَرْطِ أَنْ يَكُوْنَ إِبْرَاهِيْمُ أَمِيْناً وَنَشِيْطاً، وَقَالَتْ أُمُّ إِبْرَاهِيْمَ

لِلتَّاجِرِ: إِنَّ وَلَدِي تَرَبّى عِنْدِي عَلَى حُبِّ العَمَلِ وَالأَمَانَةِ.

فَاطْمَأَنَّ التَّاجِرُ إِلى قَوْلِ أُمِّ إِبْرَاهِيْمَ وَأَعْطَى إِبْرَاهِيْمَ مِفْتَاحَ حَانُوْتِهِ الكَبِيْرِ وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَأْتِيَ كُلَّ يَوْمٍ في الصَّبَاحِ البَاكِرِ لِكَنْسِ الحَانُوْتِ، وَتَرْتِيْبِ البِضَاعَةِ، وَعَمِلَ إِبْرَاهِيْمُ بِجِدٍّ وَنَشَاطٍ، لَكِنَّ التَّاجِرَ كَانَ بَخِيْلاً لَمْ يُعْطِ إِبْرَاهِيْمَ الأَجْرَ الّذي يَسْتَحِقُّ، فَكَانَ يُعْطِيْهِ كُلَّ أُسْبُوْعٍ دِرْهَماً وَاحِداً فَقَط، وَهَذَا الدِّرْهَمُ لاَ يَكْفِي؛

فَالحَيَاةُ تَتَطَلَّبُ عِدَّةَ دَرَاهِمَ في الأُسْبُوعِ لِتَأْمِيْنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالكِسَاءِ، وَكَانَ إِبْرَاهِيْمُ يَشْتَكِي لأُمِّهِ بُخْلَ التّاجِرِ، فَتَقُوْلُ لَهُ أُمُّهُ: اصْبِرْ يَا إِبْرَاهِيْمُ، فَعِنْدَمَا تُتْقِنُ عَمَلَكَ، فَإِنَّهُ لاَ بُدَّ سَيَزِيْدُ أَجْرَكَ، وَصَبَرَ إِبْرَاهِيْمُ سَنَةً، وَالتَّاجِرُ مَا زَالَ يُعْطِيْهِ دِرْهَماً كُلَّ أُسْبُوْعٍ، فَلَمْ يَزِدْ لَهُ أَجْرُهُ، عِنْدَهَا تَرَكَ إِبْراهِيْمُ العَمَلَ، وَبَحَثَ عَنْ عَمَلٍ آخَرَ، لَكِنَّ أَحَداً لَمْ يَقْبَلْهُ، لأَنَّ التَّاجِرَ هَدَّدَ التُّجَّارَ الآخَرِيْنَ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ إِبْرَاهِيْمَ

أَجِيْرٌ عِنْدِي، وَمَنْ يَقْبَلْهُ لِلْعَمَلِ عِنْدَهُ، فَسَوْفَ أُقَاطِعُهُ وَلاَ أُكَلِّمُهُ، خَشِيَ التُّجارُ مِنْ تَهْدِيدِ التَّاجِرِ الكَبِيْرِ، وَرَفَضُوا تَشْغِيْلَ إِبْرَاهِيْمَ عِنْدَهُمْ، لِذَلِكَ بَقِيَ إِبْرَاهِيْمُ دونَ عَمَلٍ وَجَلَسَ في بَيْتِهِ، وَأَضْحَى حَزِيْناً مَهْمُوماً.

دُرُوْسُ المَسْجِدِ

كَانَ إِبْرَاهِيْمُ يَذْهَبُ إِلى المَسْجِدِ لأَدَاءِ الصَّلاَةِ جَمَاعَةً، وَكَانَ إِمَامُ المَسْجِدِ يُلْقِي دَرْساً بَعْدَ صَلاَةِ العَصْرِ مِنْ كُلِّ يَوْمٍ، وَكَانَ إِبْرَاهِيْمُ يَجْلِسُ بَعْدَ صَلاَةِ العَصْرِ؛ وَيَسْتَمِعُ إِلى الشَّيخِ بِاهْتِمَامٍ، وَيَتَعَلَّمُ مِنْ دُرُوْسِهِ طَاعَةَ الوَالِدَيْنِ، وَحُبَّ العَمَلِ، وَكَسْبَ الرِّزْقِ، والسَّعْيَ حَتّى يَكْسِبَ

الإِنْسَانُ رِزْقَهُ، فَاللَّهُ تَعَالَى أَمَرَ عِبَادَهُ بِالسَّعْيِ وَعَدَمِ القُعُوْدِ، وَخَرَجَ إِبْرَاهِيْمُ مِنَ المَسْجِدِ ذَاتَ يَوْمٍ، وَهُوَ يُفَكِّرُ بِدَرْسِ الشَّيْخِ حَوْلَ السَّعْيِ وَكَسْبِ الرِّزْقِ، وقَالَ لِنَفْسِهِ: إِنَّني كَسُوْلٌ قَاعِدٌ عَنْ طَلَبِ الرِّزْقِ، كَيْفَ يَأْتِي الرِّزْقُ إِلَيَّ وَأَنَا قَاعِدٌ في البَيْتِ؟ عَلَيَّ أَن أَسْعَى، ثُمَّ يَقُوْلُ: لَقَدْ سَعَيْتُ وَلَكِنَّ التُّجارَ أَبَوْا عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَ عِنْدَهُمْ، إِنَّنِي لَمْ أَقْعُدْ عَنْ طَلَبِ الرِّزقِ!.

ثُمَّ يَعُوْدُ إِلى تَذَكُّرِ دَرْسِ الشَّيْخِ فَيَقُولُ:

هذا السَّعْيُ لاَ يَكْفِي، عَلَيَّ أَنْ أَسْعَى أَكْثَرَ، ثُمَّ فَكَّرَ أَنْ يَسْعَى لِطَلَبِ الرِّزْقِ خَارِجَ مَدِيْنَتِهِ طَالَمَا أَنَّ مَدِيْنَتَهُ قَدْ سَدَّتْ أَبْوَابَ الرِّزْقِ في وَجْهِهِ، وَكَلَّمَ إِبْرَاهِيمُ أُمَّهُ، وَأَخْبَرَهَا بِعَزْمِهِ عَلَى الرَّحِيْلِ إِلَى مَدِيْنَةٍ أُخْرَى، لَكِنَّ أُمَّهُ خَافَتْ عَلَيْهِ لأَنَّهُ لا يزَالَ صَغِيراً، فَأَقْنَعَهَا إِبْرَاهِيْمُ بِأَنَّهُ يَسْتَطِيْعُ أَنْ يَعْمَلَ خَارِجَ بَلَدِهِ، وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِ، وَتَرَدَّدَتِ الأُمُّ في السَّمَاحِ لَوَحِيْدِهَا إِبْرَاهِيْمَ، كَيْفَ سَيُفَارِقُهَا إِلَى بَلْدَةٍ أُخْرَى؟

لَكِنَّهَا ذَكَرَتْ تُجَّارَ البَلْدَةِ الذين رَفَضُوْا تَشْغِيلَهُ عِنْدَهُمْ، وَوَجَدَتْ أَنَّه لا بُدَّ لَهَا مِنَ السَّمَاحِ لابْنِهَا لِلعَمَلِ خَارِجَ بَلْدَتِهِ.

طَلَبُ العَمَلِ خَارِجَ بَلْدَتِهِ

حَدَّدَ إِبْرَاهِيْمُ مَوْعِدَ سَفَرِهِ، وَطَلَبَ مِنْ أُمِّهِ تَجْهِيْزَ زَادٍ لَهُ يَكْفِيْهِ عِدَّةَ أَيَّامٍ، وَلَمَّا حَانَ مَوْعِدُ سَفَرِهِ، حَمَلَ زَادَهُ وَوَدَّعَ أُمَّهُ، وَطَلَبَ مِنْها الدُّعَاءَ لَهُ بِالتَّوْفِيْقِ، ثُمَّ غَادَرَ بَلْدَتَهُ مُتَوَجِّهاً إِلى جِهَةٍ مَجْهُولَةٍ. سَارَ إِبْرَاهِيْمُ يَوْمَهُ كُلَّهُ، وَكَانَ يَجْلِسُ في الطَّرِيْقِ بَيْنَ حِيْنٍ وَآخَرَ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ لِيَتَنَاوَلَ

طَعَامَهُ، وَيُصَلِّيَ وَيَدْعُوَ اللَّهَ بِالتَّوْفِيقِ، وَكَانَ كُلَّمَا مَرَّ عَلى قَرْيَةٍ طَلَبَ فِيْهَا العَمَلَ، لَكِنَّهُ كَانَ لاَ يَجِدُ عَمَلاً، فَيَخْرُجُ مِنْهَا وَيَسْتَمِرُّ فِي سَيْرِهِ، وَانْقَضَتِ الأَيَّامُ الثَّلاَثَةُ، وَنَفِدَ زادُ إِبْرَاهِيْمَ، وَأَوْشَكَ عَلَى اليَأْسِ وَالقُنُوْطِ، لَكِنَّهُ كَانَ يَذْكُرُ دَائِماً قَوْلَ شَيْخِ المسْجِدِ بِوُجُوبِ السَّعْيِ لِطَلَبِ الرِّزْقِ وَعَدَمِ القُنُوطِ، فَيَرْتَاحُ بِذَلِكَ قَلْبُهُ وَتَطْمَئِنُّ نَفْسُهُ، وَبَيْنَمَا كَانَ فِي بَعْضِ الطَّرِيْقِ يَغُطُّ فِي نَوْمِهِ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ كَبِيْرَةٍ وَقَدْ أَجْهَدَهُ التَّعَبُ

مِنْ طُوْلِ السَّفَرِ وَقِلَّةِ الزَّادِ، مَرَّ بِالشَّجَرَةِ

رَجُلٌ يَسُوْقُ بَعْضَ الأَغْنَامِ، فَرَأى ظِلَّهَا

الكَثِيْفَ، فَقَصَدَهَا لِيَسْتَظِلَّ بِهَا وَيَأْخُذَ قِسْطاً

مِنَ الرَّاحَةِ، وَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْهَا وَجَدَ إِبْرَاهِيْمَ

نَائِماً، فَجَلَسَ قُرْبَهُ وَأَخْرَجَ زَادَهُ لِيَأْكُلَ،

وَاسْتَيْقَظَ إِبْرَاهِيْمُ عَلى ثُغَاءِ الأَغْنَامِ، فَهَبَّ

مِنْ نَوْمِهِ فَزِعاً، لَكِنَّ الرَّجُلَ سَلَّمَ عَلَيْهِ

وَتَوَدَّدَ إِلَيْهِ، وَطَمْأَنَهُ، فَاطْمَأَنَّ إِبْرَاهِيْمُ وَهَدَأَ

رُوْعُهُ، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ دَعَا إِبْرَاهِيْمَ لِيُشَارِكَهُ

طَعَامَهُ، فَأَقْبَلَ إِبْرَاهِيْمُ وَأَكَلَ مِنَ الطَّعَامِ

لأَنَّهُ كَانَ جائِعاً، ثُمَّ قَامَ الرَّجُلُ إِلى أَغْنَامِهِ وَحَلَبَ إِنَاءً مِنَ اللَّبَنِ، وَقَدَّمَهُ لِإِبْرَاهِيْمَ، فَشَرِبَ حَتّى ارْتَوَى، وَشَكَرَ الرَّجُلَ عَلَى صَنِيْعِهِ، ثُمَّ سَأَلَ الرَّجُلُ إِبْرَاهِيْمَ عَنْ وِجْهَةِ سَفَرِهِ فَقَصَّ إِبْرَاهِيْمُ قِصَّتَهُ عَلَى الرَّجُلِ، فَتَبَسَّمَ الرَّجُلُ، وَقَالَ لِإِبْرَاهِيْمَ: لا بَأْسَ، إِذا كُنْتَ تَبْحَثُ عَنْ عَمَلٍ فَإِنَّ عِنْدِي لَكَ عَملاً بِأَجْرٍ جَيِّدٍ. فَقَالَ إِبْرَاهِيْمُ بِلَهْفَةٍ: وَمَا هُوَ هَذَا العَمَلُ؟ قَالَ الرَّجُلُ: تَرْعَى أَغْنَامِي. سُرَّ إِبْرَاهِيْمُ بِهَذَا العَمَلِ خُصُوصاً

لأَنَّهُ عِنْدَ هَذَا الرَّجُلِ الطَّيِّبِ الكَرِيْمِ، فَقَبِلَ بِالعَمَلِ عِنْدَهُ، وَسَارَ مَعَهُ إِلى قَرْيَتِهِ، فَنَزَلَ عِنْدَهُ، ثُمَّ تَسَلَّمَ مِنْهُ قَطِيْعَ الغَنَمِ الصَّغِيْرِ، وَأَخَذَ يَرْعَاهُ في الأَوْدِيَةِ وَالتِّلاَلِ المُجَاوِرَةِ لِلْقَرْيَةِ، ثُمَّ يَعُوْدُ بِهِ في المَسَاءِ.

وَكَانَ إِبْرَاهِيْمُ حَرِيْصاً عَلَى أَدَاءِ عَمَلِهِ بِجِدٍّ وَنَشَاطٍ، فَيَسْهَرُ عَلَيْهِ، وَيَمْنَعُ الذِّئَابَ مِنَ الاقْتِرَابِ مِنْهُ، وَيَعْتَنِي بِهِ عِنَايَةً فَائِقَةً.

وَمَرَّتِ الأَيَّامُ، وإِبْرَاهِيْمُ يُقِيْمُ عِنْدَ صَاحِبِ الغَنَمِ الّذي يُدْعَى [رَشِيْد] في

أَحْسَنِ حَالٍ وَأَسْعَدِ بَالٍ، وَرَشِيْدٌ يُكْرِمُ إِبْرَاهِيْمَ غَايَةَ الإِكْرَامِ، وَيُلاَطِفُهُ كَثِيْراً، وَيُعَامِلُهُ مُعَامَلَةً حَسَنَةً مِثْلَ مُعَامَلَةِ أَبْنَائِهِ، لِذَلِكَ وَجَدَ إِبْرَاهِيْمُ فِي رَشِيْدٍ الأَبَ الحَنُوْنَ، وَنَسِيَ بِذَلِكَ بَلَدَهُ، لَكِنَّهُ دَائِماً كَانَ يَتَذَكَّرُ أُمَّهُ، وَيَحِنُّ إِلَيْهَا، وَيَتَمَنَّى لَوْ أَنَّهَا كَانَتْ مَعَهُ لِتَنْعَمَ بِالخَيْرِ وَالبَرَكَةِ الَّتِي يَنْعَمُ بِهَا، وَانْقَضَى عَلَى غِيَابِ إِبْرَاهِيْمَ ثَلاَثُ سِنِيْنَ وَهُوَ يَعْمَلُ عِنْدَ رَشِيْدٍ، وَقَدْ نَمَتْ أَغْنَامُ رَشِيْدٍ وَأَصْبَحَتْ قَطِيْعاً كَبِيْراً.

اشْتَاقَ إِبْرَاهِيْمُ إِلى أُمِّهِ، وَقَرَّرَ أَنْ يَزُوْرَهَا، فَاسْتَأْذَنَ رَشِيْداً، فَلَمْ يُمَانِعْ رَشِيْدٌ في ذَلِكَ، لَكِنَّهُ قَالَ لإِبْرَاهِيْمِ: لا مَانِعَ أَنْ تَذْهَبَ إِلَيْهَا، وَتَقْضِي عِنْدَهَا شَهْراً ثُمَّ تَعُوْدُ، لِأَنَّني بِحَاجَةٍ إلى عَمَلِكَ، وَقَدْ سَرَّني أَمَانَتُكَ وَإِخْلاَصُكَ في العَمَلِ، فَوَعَدَهُ إِبْرَاهِيْمُ بِالْعَوْدَةِ.

العَوْدَةُ إِلى البَلَدِ

سَاقَ إِبْرَاهِيْمُ مَعَهُ بَعْضَ الأَغْنَامِ إِلى بَلَدِهِ، وَهِيَ قِسْمٌ مِنْ أَجْرِهِ خِلاَلَ عَمَلِهِ عِنْدَ رَشِيْدٍ لِمُدَّةِ ثَلاَثِ سِنِيْنَ، وَأَبْقَى عِنْدَ رَشِيْدٍ عِدَّةَ أَغْنَامٍ وَدِيْعَةً لِحِيْنِ عَوْدَتِهِ، ثُمَّ وَدَّعَهُ وَانْصَرَفَ، وَوَصَلَ إِبْرَاهِيْمُ إِلى بَلْدَتِهِ، وَدَخَلَ عَلَى أُمِّهِ وَمَعَهُ أَغْنَامُهُ وَبَعْضُ الدَّرَاهِمِ التي كَسِبَهَا خِلاَلَ غَيْبَتِهِ، فَفَرِحَتْ

أُمُّهُ كَثِيْراً بِعَوْدَتِهِ وَكَانَتْ قَدْ ظَنَّتْهُ مَاتَ أَوْ هَلَكَ، لِأَنَّ أَخْبَارَهُ قَدِ انْقَطَعَتْ عَنْهَا، لِذَلِكَ كَانَ فَرَحُهَا بِعَوْدَتِهِ كَبِيْراً لا يُوْصَفُ، فَضَمَّتْهُ إِلى صَدْرِهَا وَقَالَتْ لَهُ: لَقَدْ قَاسَيْتُ كَثِيْراً مِنْ جَرَّاءِ غِيَابِكَ، وَأَصَابَنِي الهَمُّ وَالحُزْنُ عَلَيْكَ، فَلاَ تَعُدْ لِلسَّفَرِ وَالبُعْدِ عَنِّي مَرَّةً ثَانِيَةً. قَالَ لَهَا إِبْرَاهِيْمُ: لَقَدْ عَمِلْتُ عِنْدَ رَجُلٍ طَيِّبٍ كَرِيْمٍ، وَلَقَدْ أَكْرَمَنِي وَأَجْزَلَ لِيَ الأَجْرَ، وَتَرَكْتُ عِنْدَهُ نِصْفَ أَجْرِيْ، وَوَعَدْتُهُ بِالْعَوْدَةِ. قَالَت أُمُّ إِبْرَاهِيْمَ:

مَهْمَا ذَكَرْتَ لِي عَنْ طِيْبِ رَشِيْدٍ وَكَرَمِهِ، فَإِنَّنِي لاَ أُرِيْدُكَ أَنْ تُسَافِرَ مَرَّةً أُخْرَى، وَلاَ أُطِيْقُ أَنْ تَبْتَعِدَ عَنِّي. وَاسْتَجَابَ إِبْرَاهِيْمُ لِطَلَبِ أُمِّهِ، وَقَرَّرَ عَدَمَ الذَّهَابِ مَرَّةً أُخْرَى إِلى رَشِيْدٍ، وَقَالَ لأُمِّهِ: مَاذَا أَعْمَلُ هُنَا؟ قَالَتِ الأُمُّ: اعْمَلْ أَيَّ شَيْءٍ، اذْهَبْ إِلى السُّوْقَ وَبِعْ هَذِهِ الأَغْنَامَ وَاشْتَرِ بِثَمَنِهَا حِمَاراً، وَاعْمَلْ عَلَيْهِ حَمَّالاً، فَامْتَثَلَ إِبْرَاهِيْمُ لِمَشُورَةِ وَالِدَتِهِ، وَعَمِلَ حَمَّالاً، وَكَانَ يَكْسَبُ مِنْ عَمَلِهِ هَذا المَالَ، فَيُنْفِقُ قِسْماً

مِنْهُ عَلَى وَالِدَتِهِ وَيَدَّخِرُ قِسْماً آخَرَ حَتَّى اجْتَمَعَ عِنْدَهُ مَالٌ كَثِيْرٌ، فَبَنَى بِهِ بَيْتاً، وَتَزَوَّجَ بِقِسْمٍ مِنْهُ، وَكَانَ النَّاسُ يُقْبِلُونَ عَلَى إِبْرَاهِيْمَ لِيَحْمِلَ لَهُمْ أَحْمَالَهُمْ، وَقَمْحَهُمْ إِلَى الطَّاحُوْنِ.

أُسْرَةُ إِبْرَاهِيْمَ

وَكَبِرَتْ أُسْرَةُ إِبْرَاهِيْمَ، فَبَعْدَ عَشْرِ سِنِيْنَ مِنْ زَوَاجِهِ أَصْبَحَ لَهُ خَمْسَةُ أَوْلاَدٍ بِالإِضَافَةِ إِلى زَوْجَتِهِ وَأُمِّهِ، وَأَصْبَحَ مَصْرُوفُ إِبْرَاهِيمَ كَبِيْراً، فَقَدْ كَانَ يُنْفِقُ عَلى أُسْرَتِهِ كُلَّ كَسْبِهِ، وَلاَ يُوَفِّرُ مِنْهُ شَيْئاً، لأَنَّهُمْ بِحَاجَةٍ إِلى الطَّعَامِ والكِسَاءِ وَالتَّعْلِيْمِ، إِنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يُعَلِّمَ أَوْلاَدَهُ جَمِيْعاً، وَلاَ يُرِيْدَهُمْ

أَنْ يَكُوْنُوا مِثْلَهُ يَعِيْشُونَ في هَذِهِ الحَيَاةِ دُوْنَ تَعْلِيْمٍ، لِذَلِكَ وَفَّرَ لَهُمْ كُلَّ نَفَقَاتِ التَّعْلِيْمِ، وَكُلَّ مَا يَحْتَاجُونَهُ مِنْ طَعَامٍ وَكِسَاءٍ، وَفي أَحَدِ الأَيَّامِ كَانَ إِبْرَاهِيْمُ يَسُوْقُ حِمَارَهُ وَيستَحِثُّهُ عَلى الإِسْرَاعِ، وَالحِمَارُ يَحْمِلُ كِيْساً ثَقِيْلاً مِنَ القَمْحِ، فَزَلَّتْ قَدَمُ الحِمَارِ، وَسَقَطَ عَلَى رَأْسِهِ، فَانْدَقَّتْ عُنُقُهُ وَمَاتَ.

وأَسِفَ إِبْرَاهِيمُ لِهَذا الحَادِثِ، وَأَصَابَهُ الهَمُّ، إِنَّ حِمَارَهُ الّذي يَعْمَلُ عَلَيْهِ قَدْ مَاتَ، وَلاَ يُوْجَدُ مَعَهُ أَيُّ مَالٍ مُدَّخَرٍ لِشِرَاءِ حِمَارٍ

آخَرَ، فَدَخَلَ إِلى بَيْتِهِ حَزِيناً مَهْمُوماً، وَدَمْعَتُهُ في عَيْنَيْهِ، إِنَّهُ تَعَطَّل عَنِ العَمَلِ، وَلَمْ يَعُدْ يَسْتَطِيْعُ الكَسْبَ، وَجَلَسَ في البَيْتِ لاَ يُرِيْدُ مِنْهُ الخُرُوجَ، وَأَوْلاَدُهُ مِنْ حَوْلِهِ هَامِدُوْنَ خَائِفُوْنَ، لأَنَّ أَبَاهُمْ أَضْحَى فَقِيْراً، وَبَيْنَما هُوَ كَذَلِكَ، قَالَتْ لَهُ أُمُّهُ العَجُوْزُ: يا إِبْرَاهِيْمُ مَا لَكَ تَجْلِسُ هَكَذَا كَالنِّسَاءِ؟ أَنَا مَا عَهِدْتُكَ تَجْلِسُ دُوْنَ عَمَلٍ وَتَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، اذْهَبْ وَابْحَثْ عَنْ عَمَلٍ. قَالَ إِبْرَاهِيْمُ: كَيْفَ أَبْحَثُ عَنْ

عَمَلٍ؟ وَحِمَارِي الّذي كُنْتُ أَعْمَلُ عَلَيْهِ قَدْ
مَاتَ، مِنْ أَيْنَ لِي بِحِمَارٍ آخر؟ قَالَتْ:
عَلَيْكَ أَنْ تَعْمَلَ وَأَنْ تَسْعى، فَالرِّزْقُ لاَ
يَأْتِيكَ وَأَنْتَ جَالِسٌ هُنَا، أَتَذْكُرُ يَوْمَ كُنْتَ
صَبِيّاً؟ لَقَدْ غَادَرْتَ البَلْدَةَ سَعْياً للرِّزْقِ،
أَفَتَجْلِسُ الآنَ وَأَنْتَ شَابٌ كَبِيْرٌ وَلَكَ عِيَالٌ
يَنْتَظِرُونَ مِنْكَ لُقْمَةَ العَيْشِ؟ تَذَكَّرَ إِبْرَاهِيْمُ
عَمَلَهُ عِنْدَ رَشِيْدٍ، وَتَذَكَّرَ أَغْنَامَهُ الّتي تَرَكَها
عِنْدَهُ، فَنَهَضَ مِنْ مَكَانِهِ يُحَرِّكُهُ أَمَلٌ قَدْ
يَتَحَقَّقُ، ثُمَّ قَالَ لِوَالِدَتِهِ: سَأُسَافِرُ مَرَّةً أُخْرَى

لِبَلْدَةِ رَشِيْدٍ، لَقَدْ تَذَكَّرْتُهُ الآنَ، أَلَيْسَ لِي عِنْدَهُ بَعْضُ الأَغْنَامِ؟ لَوْ حَصَلْتُ عَلَيْهَا لَنَفَعَتْنِي وَاشْتَرَيْتُ بِثَمَنِهَا حِمَاراً. قَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: أَمَا تَزَالُ تَذْكُرُ رَشِيْداً وَأَغْنَامَهُ، إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ تَغَيَّرَ بَعْدَ هَذِهِ السِّنِينَ، وَمَنْ يَضْمَنُ لَكَ حَقَّكَ عِنْدَهُ بَعْدَ هَذِهِ الغَيْبَةِ الطَّوِيْلَةِ؟ كَمَا أَنَّكَ لاَ تَدْرِي إِنْ كَانَ مَوْجُوداً عَلَى قَيْدِ الحَيَاةِ أم لا؟ ابْحَثْ عَنْ فِكْرَةٍ غَيْرِ هَذِهِ الفِكْرَةِ، ثُمَّ جَلَسَ إِبْرَاهِيْمُ وَهُوَ مُطْرِقٌ مَهْمُومٌ وَقَدْ تَبَدَّدَ أَمَلُهُ.

المُفاجَأَةُ

نَامَ إِبْرَاهِيْمُ لَيْلَتَهُ حَزِيْناً مَهْمُوماً يُفَكِّرُ بِغَدِهِ وَبِقُوتِ أَوْلاَدِهِ، وَمَا إِنْ غَفَا في نَوْمِهِ حَتَّى تَرَاءَتْ لَهُ أَغْنَامُهُ التي تَرَكَهَا عِنْدَ رَشِيْدٍ وَهِيَ تَحُوْمُ حَوْلَهُ، وَلَهَا ثُغَاءٌ كَأَنَّما تَدْعُوْهُ لأِخْذِهَا، فَيَفْرَحُ بِهَا كَثِيْراً وَيَقْبِضُ عَلَى بَعْضِهَا، ثُمَّ يَصْحُو فَيَجِدُ نَفْسَهُ فِي حُلُمٍ، فَيَحْزَنُ ثُمَّ يُعَاوِدُ النَّوْمَ، فَتَتَرَاءَى

غَنَمَاتُه مَرَّةً ثَانِيَةً لَهُ، تَثْغُو وَتَدْعُوْهُ لَهَا مَرَّةً أُخرَى، وَهَكَذَا أَمْضى لَيْلَتَهُ في هَذِهِ الأَحْلاَمِ، وَفِي الصَّبَاحِ حَزَمَ أَمْرَهُ وَقَرَّرَ السَّفَرَ لِبَلَدِ رَشِيْدٍ، فَاسْتَأْذَنَ أُمَّهُ وَوَدَّعَ زَوْجَتَهُ وَأَوْلاَدَهُ وَانْطَلَقَ نَحْوَ بَلدَةِ رَشِيْدٍ، فَوَصَلَهَا بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ رَشِيْدٍ لأنَّ البَلْدَةَ قَدْ تَغَيَّرَتْ وَتَوَسَّعَتْ، فَأَرْشَدُوْهُ إلى رَشِيْد.

وَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ وَجَدَهُ شَيْخاً كَبِيْراً، يَجْلِسُ عَلى قِمَّةِ تَلٍّ يُرَاقِبُ أَغْنَامَهُ الّتي

مَلأَتِ الوَادِيَ، فَاقْتَرَبَ مِنْهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَعَرَّفَهُ بِنَفْسِهِ وَقَالَ لَهُ: أَنا إِبْرَاهِيْمُ يَا سَيِّدي رَشِيْد أَلا تَذْكُرُني؟ قَالَ رَشِيْدٌ: بَلَى أَذْكُرُكَ، أَهْلاً وسهلاً بك، قال له: تَذْكُرُ يَا سَيِّدي أَنَّنِي تَرَكْتُ عِنْدَكَ بَعْضَ الأَغْنَامِ، وَإِنَّنِي بِحَاجَةٍ إِلَيْهَا الآنَ. ضَحِكَ رَشِيْدٌ وَقَالَ لَهُ: لِمَاذا ذَهَبْتَ ولَمْ تَرْجِعْ، وَقَدْ وَعَدْتني يَوْمَها بِالرُّجُوعِ، قَالَ إِبْرَاهِيْمُ: طَاعَةُ وَالِدَتِي هِيَ الّتي مَنَعَتْنِي مِنَ الرُّجُوعِ، لَقَدْ طَلَبَتْ مِنّي وَالِدَتِي أَنْ أَبْقَى مَعَهَا،

فَسَمِعْتُ كَلاَمَهَا وَبَقِيْتُ عِنْدَهَا، وَالآنَ أَتَيْتُكَ مُحْتَاجاً أَطْلُبُ غَنَمَاتِي، فَهَلاَّ أَعْطَيْتَنِي مَالِي جَزَاكَ اللَّهُ كُلَّ خَيْرٍ، قَالَ رَشِيْدٌ: انْظُرْ إِلى ذَلِكَ الوَادِي، مَاذَا تَرَى؟ قَالَ إِبْرَاهِيْمُ: أَغْنَامَكَ. قَالَ رَشِيْدٌ: هِيَ لَكَ، خُذْهَا وانْصَرِفْ إِلى بَلَدِكَ، قَالَ إِبْرَاهِيْمُ: أَطْلُبُ مِنْكَ غَنَمَاتِي، وَهِيَ أَرْبَعٌ أَوْ حَتّى ثَلاثٌ، وَتَقُولَ لِي: خُذْ هَذِهِ الأَغْنَامَ الّتي تَمْلأُ الوَادِي! مَا عَهِدتُّكَ يَا مُعَلِّمي تَمْزَحُ مَعِي.

قال رَشِيْدٌ: صَدَقْتَ يَا إِبْرَاهِيْمُ مَا

عَرَفْتَنِي مَازِحاً، وَلَمْ أَكُنْ الآنَ مَازِحاً، إِنَّ هذه الأغنامَ أَغْنَامُكَ، قَدْ نَمَتْ وَأَصْبَحَتْ بِهَذا العَدَدِ، لَقَدْ رَعَيْتُهَا لَكَ وَحَفِظْتُهَا لَكَ، وَقُلْتُ لاَ بُدَّ وَأَنَّكَ سَتَأْتِي يَوْماً لِتَأْخُذَهَا، وَالحَمْدُ لِلَّهِ لقد حَضَرْتَ في الوَقْتِ المُنَاسِب، إِنّني يَا بُنَيَّ قَدْ كَبِرْتُ وَتَقَدَّمَتْ سِنّي، وَكُنْتُ أَخْشَى أَنْ يَأْتِيَنِي المَوْتُ قَبْلَ أَنْ أُسَلِّمَكَ أَغْنَامَكَ، خُذْهَا وَعُدْ راشِداً إلى بَلَدِكَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيْها. وسُرَّ إِبْرَاهِيْمُ كَثِيْراً مِنْ هذه الأَغْنَامِ، إِنَّهَا تُسَاوِي

آلاَفَ الدَّنَانِير، الحَمْدُ لِلَّهِ، الحَمْدُ لِلَّهِ لَقَدْ أَصْبَحْتُ غَنِيًّا سَيَفْرَحُ أَوْلاَدِي، مَا زَالَ في الدُّنْيا رِجَالٌ صَالِحُونَ، الحَمْدُ لِلَّهِ، هَذَا أَثَرُ رِضَا وَالِدَتي عَلَيَّ.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
نَشأَةُ الطِّفْلِ إبْرَاهيم	٥
دُرُوْسُ المَسْجِدِ	١١
طَلَبُ العَمَلِ خَارِجَ بَلْدَتِهِ	١٥
العَوْدَةُ إلى البَلَدِ	٢٢
أُسْرَةُ إبْرَاهِيْمَ	٢٦
المُفَاجَأَةُ	٣١